

أخلاق الحرب في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ عدي السهلاني*

مقدمة

جاءت الرسالة الإسلامية الخاتمة لهداية الإنسان، وتحريره من جميع ألوان الانحراف في فكره وسلوكه، وتحريره من ضلال الأوهام ومن عبادة غير الله الواحد الصمد، ومن الانسياق وراء الشهوات والمطامع التي يزينها له الشيطان، وتهذيب نفسه من بواعث الأنانية والحقد والعدوان، ومن الرذيلة والانحطاط.

فالأخلاق^(١) العظيمة السامية تُرافق الرسالة العظيمة التي حملها الرسول الأكرم ﷺ إلى العالمين، ولها أهمية بالغة في صياغة مفاهيم وقيم وأحكام هذا الدين الحنيف، وتُمثل أهم الجهات الإنسانية التي عني بها الدين الإسلامي الحنيف، واهتمَّ بها اهتماماً كبيراً، وهذا ما يظهر جلياً من تعاليم القرآن الكريم وإرشادات السنّة الشريفة؛ إذ يدخل العامل الأخلاقي في كلّ مرفق من مرافق الحياة التي يدعو لها الإسلام ويحث على رعايته والاهتمام به، سواء في علاقته بنفسه أم بأسرته وأرحامه وجيرانه، أو ضمن المجتمع الكبير الذي يبنى فيه الإنسان المسلم علاقاته المختلفة

* دكتوراه في الفقه الإسلامي، أستاذ في جامعة المصطفى ﷺ العالمية، من العراق.

(١) (الأخلاق) مفردتها: خلق؛ «وخلق: الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما: تقدير الشيء، كقولهم: خلقتُ الأديم للساء، إذا قدّرتَه (صنّعتَه). والآخر: ملأته الشيء، كقولهم: صخرة خلقت، أي: ملأته». ومن الأوّل نأخذ معنى الخلق: وهي السجّية؛ لأنّ صاحبه قد قدّر عليه. معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٢١٤، بتصرّف. وقد عرّفه النراقي بقوله: «عبارة عن ملكة للنفس، مقتضية لصدور الأفعال بسهولة، من دون احتياج إلى فكر وروية». النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ج ١، ص ٤٦.

مع المسلمين وغيرهم، على مختلف الأصعدة؛ الاجتماعية منها، والاقتصادية، والعلمية وغيرها، كما لم يغفل الإسلام عن قيم الأخلاق حتى في الحروب مع أعداء الدين.

وإذا تأملنا سيرة الرسول الأكرم ﷺ نجدها الأنموذج الأرقى لمكارم الأخلاق، كيف لا وقد خاطبه الباري سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، ولو كان هناك خطاب أجل منه في المدح والثناء لمدحه به - جلّ وعلا.

فقد كانت أخلاقه ﷺ معجزة من معجزه الخالدة، التي تدلّ على صدق نبوته؛ إذ تعامل بأخلاق عالية حتى مع أعدائه والمناوئين له، وشهد بذلك أئمة الكفر أنفسهم، فهذا أبو سفيان الذي أعلن ذلك صراحة بقوله للنبي ﷺ: «ولقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثمّ سألته فنعم المسالم أنت»^(٢).

ناهيك عن المواقف التي تدلّ على ذلك، والتي تزر بها كتب المؤلفين، نعم فقد كان قلبه يتسع لكل الناس.

وأما حروبه ﷺ التي خاضها، فهي إنّما كانت دفاعاً عن وجود الإسلام وكرامة الإنسان، ومن أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، وتحقيق العدل والحق في الأرض، وإشاعة الأخلاق الفاضلة، ولم يحارب يوماً إلا بعد الإبلاغ والنصيحة والدعوة إلى عبادة الله الواحد، والذين حاربهم هم أولئك الطغاة المستبدون الذين تسلّطوا على رقاب الناس، ومنعوا من وصول صوت الإسلام إلى آذان المحرومين والمُعذّبين في الأرض^(٣).

(١) القلم: آية ٤.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٣، ص ٤٣٢.

(٣) وهذا ما كان يدعو النبي ﷺ للتأسّف والتحصّن لموقف قريش المعادي للإسلام حتى قال: «يا ويح قريش! قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟! فوالله، لا أزال أجاهدكم على الذي بعثني الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٢٧٢.

كان رسول الله ﷺ لا يترك طريقاً من أجل هداية عدوّه وإرشاده إلا سلكه، فكان همّه الوحيد هداية خصمه بأية وسيلة، كما كان يُوصي أمراء جيشه أن لا يقتلوا إلا مَنْ قاتلهم، وكان ينهّاهم عن المثلّة^(١) ولو بالكلب العقور^(٢).

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة، وتغلّب على مشركي قريش الذين حاربوه وآذوه وأخرجوه من دياره وتأمروا عليه وأرادوا قتله بكل وسيلة عفا عنهم، وقال مقولته المعروفة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٣).

لقد سلك أئمة أهل البيت عليهم السلام منهج رسول الله ﷺ، وتأدّبوا بآدابه السامية، وترجموها واقعاً في أعمالهم وممارساتهم وعلاقاتهم، في سلمهم وحرهم، فكانت إرادة الله لهذه الصفوة من الخلق أن تكون أخلاقهم قدوة لجميع النّاس على مرّ العصور والأزمان، وفي جميع جوانب الحياة المختلفة، لتحقيق الخير والعدل والسعادة للبشرية. ولو تصفّحنا حياة الإمام الحسين عليه السلام لوجدنا الخلق الرفيع هي الخصيصة البارزة في سلوكه وحياته، فقد أثبت بسلوكه الرسالي، وأخلاقه العالية التي هي أخلاق رسول الله وأخلاق القرآن الكريم أنّه كان بحقّ ممثّل الرسالة، والورث الشرعي لرسول الله ﷺ، فصار عليه السلام الإسلام نفسه بكلّ قيمه ومبادئه العظيمة الخيرة، حتّى اعترف له بذلك عدوّه اللدود معاوية بن أبي سفيان أمام ابنه يزيد وجمع من أعوانه ومريديه، حين طلبوا منه أن يُبيّن عيباً للحسين بن علي عليه السلام، فقال: «وما عسيتُ أن أعيبَ حسيناً، وما أرى للعيب فيه موضعاً»^(٤).

لقد رسم لنا الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً رائعاً في المواقف الأخلاقية الخالدة، لا سيّما في نهضته المباركة التي قام بها للوقوف بوجه الانتهاكات غير الأخلاقية للحزب

(١) تشويه جسد الميت.

(٢) أنظر: نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح: ص ٤٢٢.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٥١٣.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٢.

الأموي الظالم، هذه النهضة التي لم تنفك عن أخلاق الإسلام وقيمه ومبادئه العظيمة، التي كانت تمثل أخلاق محمد المصطفى ﷺ الملتزمة بحذافير التشريع الإسلامي ودقائق المثل العليا للدين.

وهذا ما يتضح من خلال سلوكه وأخلاقه في ظروف الحرب، التي تُعتبر من أشد الظروف التي يُمكن أن تمرّ على الإنسان، ففي تلك المواقف التي يصعب فيها ضبط التصرفات والتعاملات وفق الضوابط الأخلاقية والإنسانية، إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام وهو ثمرة تربية الرسول وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليها السلام أثبت أنّ الالتزام بالقواعد الإسلامية المثالية التي وردت في كتاب الله تعالى ليس ضرباً من الخيال، أو تحتاج إلى عالم مثالي خالٍ من الشر والذائل، بل هو أمر ممكن؛ لأنّها قواعد واقعية إضافةً إلى كونها مثالية، قواعد يمكن تطبيقها، وأن يحى بها الإنسان كما استطاع الرسول ﷺ أن يحى بها، وهكذا الإمام عليّ وسائر المعصومين عليهم السلام.

وفيما يلي نعرض أهم المواقف الأخلاقية التي اتخذها الإمام الحسين عليه السلام في حربه ضد طاغية عصره، وسيكون بحثنا في محاور ثلاثة هي:

أولاً: أخلاق الحسين عليه السلام حين الحرب في تعامله مع الأعداء.

ثانياً: أخلاق الحسين عليه السلام حين الحرب في تعامله مع الأتباع.

ثالثاً: أخلاق الحسين عليه السلام حين الحرب في تعامله مع غير الإنسان.

المحور الأول: أخلاق الحسين عليه السلام حين الحرب في تعامله مع الأعداء

ويتضمن هذا المحور عدّة نقاط هي:

١- الحوار واللقاء الحجة على الخصم

ذكرنا فيما سبق أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد تجسّدت فيه أخلاق الإسلام وأخلاق رسول الله ﷺ، ومنها المحافظة على القيم الأخلاقية حتى في حال الحرب، ومن

مصاديق هذه الأخلاق حوارهِ مع الأعداء والمخالفين، وإلقاء الحجّة عليهم قبل الحرب، وهو خلق قرآني محمّدي، فالإمام كان حريصاً على هداية الآخرين، ساعياً لتوضيح الحقائق وكشف الأمور وبيان الواقع لهم، ليهلك مَنْ هلك عن بينة، ويحيى مَنْ حي عن بينة.

وهذا ما يظهر لنا بوضوح في كلّ موقف وقف فيه الإمام مع مَنْ يختلف معه، حتّى وإن كان مَنْ يريد قتله وسفك دمه، فكان يُجاورهم بالتي هي أحسن، من قبيل الحرّ وجيشه؛ إذ تحدّث معهم ونصحهم، وذلك في منطقة البيضة^(١)، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيّها النّاس، إنّ رسول الله ﷺ قال: مَنْ رآى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يُدخله مُدخله. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ مَنْ غيّر، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رُسلكم ببيعتكم أنّكم لا تسلموني ولا تتخذوني، فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا رُشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، فلکم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري، ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم، والمغرور مَنْ اغترّب بكم، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيّعتم، ومَنْ نكث فإنّها ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام»^(٢).

وهكذا كانت خطاباته الكثيرة في جموع جيش يزيد في يوم عاشوراء، فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن ينتظر من أولئك شيئاً إلّا الرغبة في إنقاذهم من ضلالهم، فكان

(١) بيضة: «موضع بين العذيب وواقصة في أرض الحزن من ديار بنى يربوع بن حنظلة». أنظر: الحموي، معجم البلدان: ج ١، ص ٥٣٢.

(٢) الأزدي، أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٨٥-٨٦.

ينادي: «فانسبوني فأنظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فأنظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألسنت ابن بنت نبيكم ﷺ، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله، والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه؟! أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟! أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟! أو لم يبلغكم قول مُستفيض فيكم أن رسول الله ﷺ قال لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة.

فإن صدّقتُموني بما أقول وهو الحق، والله، ما تعمّدت كذباً مُدّ علمت أن الله يَمُقُّ عليه أهله، ويضُرُّ به من اختلقه، وإن كذّبتُموني فإن فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك؛ يُخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!... فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكّون أثراً ما أنّي ابن بنت نبيكم؟! فوالله، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصّة، أخبروني أطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟!»^(١).

فمن خلال هذه الكلمات وغيرها بين الإمام الحسين عليه السلام واقع الأمر، وأوضح لهم قبح العمل الذي يُوشكون على فعله، فلم يترك عذراً لمعتذر.

كما أنه عليه السلام أذن لمن أراد أن يخطب من أصحابه لوعظ القوم، كزهير بن القين الذي خرج حينما زحف جيش يزيد نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام، وقد أبلغ بالنصح والوعظ لهم، إلا أن القوم لم يستجيبوا لهذا النداء، بل سبّوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد، فكانوا ممن ختم الله على قلوبهم، ووصل الحال أن رماه شمراً بن ذي الجوشن بسهم ولم يثنيه ذلك من النصيحة لهم، ولكنهم أصرّوا على غيهم وضلالتهم، عند ذلك ناداه رجل من معسكر الإمام عليه السلام قائلاً: «إن أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري، لئن

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٢٢.

كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ»^(١).

ثم تقدّم الإمام الحسين عليه السلام حينما رأى صفوفهم كالسيل والليل، فخطب قائلاً: «الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنه، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور... فنعم الرب ربنا! وبئس العباد أنتم! أقررتم بالطاعة، وآمتم بالرسول محمد ﷺ، ثم أنتم رجعتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فنبأ لكم ولما تريدون! إننا لله وأنا إليه راجعون! هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين»^(٢).

ولم ينحصر كلام الإمام عليه السلام في النصح والموعظة وإلقاء الحجّة مع الجموع فقط، بل كان ذلك مع آحاد الناس أيضاً، كعبيد الله بن الحرّ الجعفي، الذي كان عثماني العقيدة كما يذكر بعض المؤرخين ولأجل ذلك خرج إلى معاوية وحارب الإمام علياً عليه السلام يوم صفين^(٣)، وكان من زعماء العرب، ولكنّه مع ذلك لما اكتشف ظلم الأمويين وعدوانهم حاول منذ البداية أن يتجنّب حرب الحسين عليه السلام، فخرج من الكوفة هرباً وتخلّصاً من ابن زياد، ولكنّه التقى الإمام عليه السلام في الطريق، فعرض عليه الإمام الحسين عليه السلام نصرته فأبى، مع علمه واعترافه بالسعادة الأخروية لمن يشايع الحسين عليه السلام، وكان ما كان من موقف إذ عرض على الإمام أن يأخذ فرسه، إلّا أنّ الإمام عليه السلام رفض ذلك قائلاً: «أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا إلى فرسك»^(٤).

ويشبهه هذا الموقف موقف عمرو بن قيس المشرقي وابن عمه، اللذين التقاهما الحسين عليه السلام وطلب منهما النصرة، وألقى عليهما الحجّة، فاعتذرا بالعيال وأمانات

(١) المصدر السابق: ص ٣٢٤.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٩.

(٣) أنظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج ٣، ص ١٤٨.

(٤) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٥١.

النَّاس، فقال الإمام عليه السلام: «فانطلقا فلا تسمعاني واعية، ولا ترياني سواداً؛ فإنه من سمع واعيتنا، أو رأى سوادنا فلم يُجبنا ولم يُعنا كان حقاً على الله عز وجل أن يكبه على منخريه في النار»^(١).

وعندما عجزت الوسائل السلمية وألقيت على الأعداء الحجة، ووصل الأمر إلى طريق مسدود كانت الحرب هي نهاية المطاف؛ لأن الإمام عليه السلام أبى إلا العزة والكرامة، وقال مقولته المشهورة: «والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد»^(٢).

٢- رفض البدء بالقتال

المعروف من سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام هو عدم البدء بالقتال في حروبهم مع أعداء الإسلام الأصيل؛ لأنهم عليه السلام دعاة سلام وليسوا دعاة حرب، فلم يكن رسول الله ﷺ في معاركه التي خاضها كمعركة بدر وغيرها - وهي معارك دفاعية - يبتدأ أعداءه بالقتال، ولا يقاتل إلا بعد أن يبدأ الطرف الآخر بذلك.

وكما كان رسول الله ﷺ لا يبدأ أحداً بقتال كان الإمام علي عليه السلام كذلك، ولم يكن موقفه من الخوارج، إلا امتداداً لذلك الخلق المحمدي، فقد قال عليه السلام لأصحابه: «كفوا عنهم حتى يبدؤكم»^(٣).

وهذا ما قام به سيّد الشهداء في ثورته المباركة، حيث حرص عليه السلام على تجسيد مفاهيم الإسلام وقيمه في الحروب، فقد رفض البدء بالقتال، ففي طريقه إلى كربلاء قابل أول طلائع جيش يزيد بن معاوية بقيادة الحرّ الرياحي، الذي جعجع بالإمام الحسين عليه السلام، ومنعه من أن يواصل طريقه إلى الكوفة، فطلب زهير بن القين من الإمام عليه السلام قتالهم؛ لأن ذلك أهون من قتال الجيوش التي سوف تأتي بعدهم.

(١) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٢٥٩.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٣٧١.

فقال الإمام عليه السلام: «ما كنت لأبدأهم بالقتال»^(١). ولو أنّ الإمام قاتلهم لهزمهم، ولكنه رفض البدء بقتالهم.

وفي اليوم العاشر من المحرم وقف شمر أمام معسكر الإمام الحسين عليه السلام، وبدأ يكيل السباب والشتم للإمام، فأراد مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فقال له الإمام عليه السلام: «لا ترمه؛ فإنّي أكره أن أبدأهم»^(٢).

وقبل نشوب الحرب كان كلّ من يخرج من أنصار الإمام الحسين عليه السلام للوعظ والنصيحة يتراجع إلى الوراء إذا رُمي بالسهم؛ اتباعاً لتعليمات الإمام الحسين عليه السلام. وكان هذا الخلق حجة أخرى على القوم تُضاف إلى الحجج المتقدمة، وكما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام موصياً أصحابه: «لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وتركم إياهم حتّى يبدؤكم حجة أخرى لكم»^(٣). ولهذا كان الإمام الحسين عليه السلام يقول لجيش يزيد (لعنه الله): «...أطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة...»^(٤).

٣- سقاية جيش الحر

إنّ مواقف الإنسانية والأخلاقيّة التي وقفها الإمام الحسين عليه السلام في رحلته إلى الشهادة على صعيد كربلاء قلّ نظيرها، ولو وُجدت لكانت مُحصرة ببيت النبوة والإمامة، ومن هذه المواقف سقاية الماء للأعداء، التي تأسّى فيها الإمام الحسين عليه السلام بجده رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فقد نقلت لنا كتب التاريخ والسير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة بدر أمر المسلمين بالسماح للمشركين بشرب الماء من البئر التي كانت تحت سيطرة جيش المسلمين^(٥).

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٨٤.

(٢) الأزدي، أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١١٦.

(٣) العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٩٣.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٢٣.

(٥) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١٤، ص ١٢٢.

وهذا ما فعله أيضاً أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين، فبالرغم من أن الماء في بادئ الأمر كان تحت سيطرة معسكر معاوية، الذين أحاطوا بشريعة الفرات، وسألهم الإمام علي عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فيشرب الجيشان على السواء. فقال معاوية: لا والله، ولا قطرة حتى يموتوا عطشاً. عند ذلك تقدم الإمام عليه السلام بأصحابه، وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتال ذريع، سقطت فيه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين، كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي، فلا حاجة لك إلى الحرب. فقال عليه السلام: «لا والله، لا أكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يُغني عن ذلك»^(١)؛ فإن أخلاق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الإلهية أبت عليه أن يُقابل الشرّ إلّا بالخير، والسيئة إلّا بالحسنة، والضلال إلّا بالهدى^(٢).

وهكذا كانت أخلاق سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام مع الحرّ الرياحي وكتيبته كتيبة الطليعة التي كان قوامها ألف فارس، حين التقوا بالركب المبارك للإمام عليه السلام وقد أوشك العطش أن يفتك بهم.

وتفصيل ذلك: إنّ الإمام الحسين عليه السلام سار من «بطن العقبة حتى نزل شراف»^(٣)، فلما كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا، ثم سار منها حتى انتصف النهار،

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٢٣-٢٤.

(٢) وكانت أخلاق الإمام علي عليه السلام معروفة لأعدائه، وهذا ما يظهر من قول عمر بن العاص لمعاوية بعد أن منعوا جيش الإمام من الماء: «يا معاوية، ما ظنك بالقوم إن منعوك الماء اليوم كما منعتم أمس، أترأى تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ وما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة. قال: دع عنك ما مضى منه، ما ظنك بعلي؟ قال: ظنّي أنه لا يستحل منك ما استحلت منه، وأنّ الذي جاء له غير الماء». المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ١٨٦.

(٣) شراف: (ماء بنجد). أنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٣، ص ٣٣١.

فبينما هو يسير إذ كبر رجل من أصحابه. فقال له الحسين عليه السلام: الله أكبر، لم كبرت؟ قال: رأيت النخل. فقال له جماعة من أصحابه: والله، إن هذا المكان ما رأينا به نخلة قط. فقال الإمام الحسين عليه السلام: فما ترونه؟ قالوا: نراه والله آذان الخيل. قال: أنا والله أرى ذلك. ثم قال عليه السلام: ما لنا ملجأً نلجأ إليه فنجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم بوجه واحد؟ فقلنا: بلى، هذا ذو حسمى^(١) إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت إليه فهو كما تريد. فأخذ إليه ذات اليسار وملنا معه، فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل^(٢) فتبينناها وعدلنا، فلما رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأن أسنتهم اليعاسيب^(٣)، وكأن راياتهم أجنحة الطير، فاستبقنا إلى ذي حسمى فسبقناهم إليه، وأمر الحسين عليه السلام بأبنيته فضربت. وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهرية، والحسين وأصحابه معتمون متقلدوا أسيافهم، فقال الحسين عليه السلام لفتيانہ: اسقوا القوم وأرووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفاً. ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس^(٤) من الماء، ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُرِزَتْ عنه وسقوا آخر، حتى سقوها كلها. فقال علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحرّ يومئذ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية. والراوية عندي السقاء، ثم قال: يا بن أخي، أنخ الجمل. فأنخته، فقال: اشرب. فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: أخنث السقاء. أي: اعطفه، فلم أدر كيف أفعل، فقام فخنثه فشربت وسقيت فرسي^(٥).

(١) جبال شواهق بالبادية.

(٢) أقبلت هوادي الخيل: إذا بدت أعناقها.

(٣) اليعاسيب: جمع يعسوب، وهو أمير النحل، شبهها في كثرتها بأن كلاً منها: كأنه أمير النحل اجتمع عليه عسكره.

(٤) الطساس: جمع طسّ، وهو معرّب طست، وهو إناء معروف. أنظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢١٠.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٧٦-٧٨.

إنّ مثل هكذا مواقف تتزاحم فيها القيم الأخلاقية لكثرتها، فتجد فيها الرحمة والعطف والشفقة والإحسان والكرم من قبل الإمام عليه السلام على هؤلاء الجمع في تلك البيداء المقفرة التي تعزّ فيها الجرعة الواحدة، وهو عالم بحراجة الموقف ونفاد الماء، وأنّ غداً دونه تسيل النفوس، ولكن العنصر النبوي والكرم العلوي لم يتركا صاحبهما إلا أن يحوز الفضل.

وهنا كان بإمكان الإمام عليه السلام أن يبيدهم عن آخرهم، ويغنى كلّ ما معهم من خيول وجمال ومتاع، وكان ذلك عليه سهلاً يسيراً، إلا أنّ أخلاقه العالية دعت له لأن يسقيهم ويرشّف خيولهم، مع علمه بأنهم سيقاتلونهم في نهاية المطاف.

وهذه المناقب العالية والأخلاق السامية هي أمرٌ طبيعي ومتوقع في سجل أهل البيت الأطهار عليهم السلام؛ لأنّ عادتهم الإحسان، وسجيّتهم الكرم حتّى مع الأعداء.

وهذه أخلاق لا يُعاد لها شيء، فلو عرضنا هذه المواقف للعالم لدخل العالم إلى الإسلام عن طريق الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

٤ - قبول توبة من خالفه

بعد تلك الخطابات التي خطبها الإمام الحسين عليه السلام وبعض أصحابه رضوان الله عليهم والتي بينوا من خلالها الحقائق وواقع الأمور، والهدف الذي خرجوا من أجله بوجه الطاغية يزيد ندم الحرّ الرياحي على ما اقترفه من خطأ حين منع الإمام ومن معه وجعجع بهم، وفي الصعاب والملمات تظهر معادن الرجال، فحينما زحف عمر بن سعد نحو معسكر الإمام الحسين أتاه الحرّ قائلاً: «أصلحك الله! أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال له: أي والله، قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي. قال: أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضئ؟ قال عمر بن سعد: أما والله، لو كان الأمر إلّي لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك.

فأقبل الحرّ حتّى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يُقال له: قرّة بن قيس،

فقال له: يا قرّة، هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا. قال: أما تريد أن تسقيه؟ فظنّ قرّة أنّ الحرّ يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتال، وكره أن يراه حين يصنع ذلك، فانطلق قرّة ليسقيه، فأخذ الحرّ يدنو من الإمام الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه يُقال له: المهاجر بن الأوس -: ما تريد يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت الحرّ وأخذته مثل الرعدة، فقال له: يا بن يزيد، والله، إنّ أمرك لمريب، والله، ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي: مَنْ أشجع أهل الكوفة رجلاً؟ ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟! فقال الحرّ: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله، لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعتُ وحرّقتُ.

ثمّ ضرب فرسه فلاحق بالحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا بن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسأيرتك في الطريق، وجعجتُ بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو، ما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنّي خرجت من طاعتهم، وأمّا هم فسيقبلون بعض ما تدعوهم إليه، ووالله، لو ظننت أنّهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك، وإني قد جئتُك تائباً بما كان منّي إلى ربي، ومواسياً لك بنفسي حتّى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟ قال: نعم يتوب الله عليك ويغفر لك. وقال: أنت الحرّ كما سمتك أمّك، أنت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة، انزل. قال: أنا لك فارساً خير منّي راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري. قال الحسين عليه السلام: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك^(١).

ثمّ تقدّم نحو جيش ابن سعد ووعظهم فلم ينفذ، فقاتل حتّى استشهد رضوان الله عليه.

وهكذا تحوّل الحرّ ببركة سعة صدر الإمام الحسين عليه السلام وعفوه عنه وقبول توبته إلى صفّ الإيثار والحقّ والجهد والشهادة.

(١) أنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٢٠ - ١٢٢. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٦٤.

٥- لم يُجهز على جريح

رُغم كثرة الأقلام المأجورة التي حاولت وللأسف أن تنال من ثورة الإمام الحسين عليه السلام دفاعاً منهم عن طاغية الشام يزيد، وتصحيحاً لموقفه في قتل سيد شباب أهل الجنة، إلا أننا لا نجد أنهم ذكروا ولو مورداً واحداً يتنافى مع أخلاق الإسلام قد صدر من الإمام أو من أتباعه في معركة الطف، ولو كان لبان، خصوصاً مع وجود مَنْ يتحىن الفرصة؛ لكي يذكر مثلبة واحدة عن الإمام الحسين عليه السلام. فالإجهاز على الجريح تعدُّ واحدة من مثالب الحروب، ومع ذلك فهذا تاريخ بني أمية وهم من أشدّ المناوئين لمنهج الإمام الحسين لم يُحدّثنا عن إجهاز الإمام عليه السلام على أيّ جريح سقط من الأعداء. وهذا خلُق دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا إليه أمير المؤمنين عليه السلام في الحروب التي خاضها، وبما أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج إلا لكي يخطو خطى جدّه وأبيه؛ لذا نراه قد جسّد هذا الخلُق بآتم وجه.

المحور الثاني: أخلاق الحسين عليه السلام مع الأتباع

ويتضمّن هذا المحور عدّة نقاط هي:

١- الوفاء بالعهود والمواثيق

الوفاء بالعهود والمواثيق من الأخلاق الفاضلة في جميع الأديان، وقد جسّدت النهضة الحسينية هذه القيم الأخلاقية في أشدّ المواقف خطورة، فقد حرص الإمام الحسين عليه السلام على الوفاء بالعهد، وكان ذلك في أشدّ الظروف قساوة، وأكثرها إيلا ماً ومحنة. ومواقف الإمام الحسين عليه السلام زاخرة بهذا النوع من الخلُق مع عامّة الخلق فضلاً عن الأتباع، منها: عهده وميثاقه مع الحرّ بن يزيد الرياحي على أن يسايره فلا يعود إلى المدينة ولا يدخل الكوفة، وقد التزم الإمام بذلك، ورفض مخالفة هذا الاتفاق عندما سنحت له الفرصة لذلك حين جاء الطرّمّاح بن عدي الطائي وقال للإمام الحسين عليه السلام: «والله، إنّّي لأنظر فيما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم

ملازميك لكان كفى بهم، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة، وفيه من الناس ما لم تر عينا في صعيد واحد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم، فقليل: اجتمعوا ليُعرضوا ثم يُسرحون إلى الحسين. فأنشدك الله إن قدرت على ألا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت، فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يدعى (أجأ)^(١)، امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمر، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله، إن دخل علينا ذل قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجأ وسلمى من طيء، فوالله، لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيء رجالاً وركبانا، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيا فهم، والله، لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف.

فقال له: جزاك الله وقومك خيراً، إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسننا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة»^(٢).
فبرغم حراجه الموقف إلا أن الإمام عليه السلام وفى بعهده، وإن كان ذلك الوفاء قد أفقده عشرين ألف ناصر في ظرف قد عز فيه الناصر.

ومن الجدير بالذكر أن الطرماح بن عدي عندما أقبل كان دليلاً لأربعة نفر جاءوا معه لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، فأقبل إليهم الحر بن يزيد قائلاً: «إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك وأنا حابسهم أو رادهم.

فقال له الحسين عليه السلام: لأمنعهم مما أمنع منه نفسي، إنما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيتني ألا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد. فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك. قال عليه السلام: هم أصحابي وهم بمنزلة من جاء معي، فإن تمت علي ما كان بيني

(١) (أجأ): على وزن: فَعَلَ، وهو علم مرتجل لاسم رجل سُمِّي به أحد جبلي طيء. أنظر: الحموي، ياقوت ابن عبد الله، معجم البلدان: ج ١، ص ٩٤.

(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٨٨ - ٨٩.

وبينك وإلا ناجزتك. قال: فكفّ عنهم الحر»^(١).

موقف آخر التقى فيه الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء برجل اسمه الضحّاك بن عبد الله المشرقي، فدعاه إلى نصرته، فاستجاب هذا الرجل ولكنه علق استجابته على شرط، وهو أن ينصر الحسين ما دام له ناصر، فإذا نفذ أنصاره ولم يكن هناك فائدة من نصرته انسحب من ذلك! فوافقه الإمام الحسين عليه السلام على شرطه هذا، رغم غرابة هذا الشرط؛ إذ كيف يمكن لإنسان حظي بشرف الدفاع عن الحسين عليه السلام وعن أهل بيت النبوة أن يتركهم في ساعة هم أحوج فيها إلى الناصر والمعين؟! ولما كان يوم عاشوراء، واحتدم القتال حتى استشهد من أنصار الحسين من استشهد، جاء هذا الرجل ليدكر الإمام بشرطه، وأنه يريد الانسحاب من المعركة، فقال له عليه السلام: «نعم، انج بنفسك إن استطعت، ولكن كيف يكون لك ذلك؟». وكان هذا الرجل قد خبأ فرساً له تحت خيمة انتظاراً لساعة الهرب هذه، ومع غرابة هذا الموقف واستهجانه، فإن الإمام الحسين عليه السلام بقي محافظاً على الوفاء بما قطعه على نفسه، رغم الظرف القاسي والزمن العصيب^(٢).

٢ - الصدق والصراحة مع جيشه

إذا كان الإمام الحسين عليه السلام قد أذهل العقول بمواقفه الأخلاقية التي وقفها مع أعدائه، فكيف بمواقفه التي وقفها مع جيشه وأتباعه؟! وكثيرة هي هذه المواقف، منها صدقه وصراحته مع جيشه.

فقد جرت عادة القادة العسكريين أن يُخفوا عن أتباعهم وجيوشهم الكثير من التفاصيل أو المعلومات، خصوصاً ما يؤثر منها على حالتهم المعنوية والنفسية، لكي لا تخور عزائمهم وتضعف قواهم، مما يؤثر سلباً على نتائج المعركة والحرب، وكثيراً

(١) أنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٨٧-٨٨.

(٢) المصدر السابق: ص ١٥٦-١٥٧.

من الأحيان لا يتوقف القادة عند حدّ إخفاء المعلومات والتفاصيل، بل قد يتعمّدون أسلوب الكذب على أتباعهم؛ بحجّة أنّ الغاية تبرّر الوسيلة.

وهذا ما لا نراه في القيادة الإلهية والرسالية للإمام الحسين (عليه السلام)، هذه القيادة الصادقة التي تمتلك الشجاعة الفائقة لكي تُخبر عن أدقّ التفاصيل لكافة العسكريين، وليس للمقربين من القائد فقط؛ لأنّ هذه القيادة همّها وهدفها الأول الإنسان المخلص، والعبد التقي الذي يُقدم على العمل بدافع ديني يقيني، لا من منطلق مصالح دنيوية أنية يطمع بها، أو منصب قيادي تشرifi يطمح إليه.

ولذا؛ كان الإمام الحسين (عليه السلام) على عكس أولئك القادة العسكريين، إذ إنّ منذ بداية نهضته المباركة وحرّبه المقدسة كان صادقاً وواضحاً مع أتباعه، والمصاديق على ذلك كثيرة، منها:

أ- إخبارهم باستشهاده واستشهاد من معه

بيّن الإمام الحسين (عليه السلام) لأصحابه في أكثر من مرّة بأنّ نجاح ثورته إنّما تكون باستشهاده واستشهاد جميع أنصاره، ولم يُمارس (عليه السلام) الكذب والخداع والتمويه مع أنصاره، وإنّما أوضح لهم أنّ هدف حركته وهو إصلاح الواقع لا يتمّ إلّا من خلال بذل دمه الطاهر ودماء من اتّبعه من أهل بيته وأصحابه، ولم يعتمد على تجهيل الناس الحالمين بما لا ينال، أو التغرير بهم عن طريق الشعارات والوعود الفارغة، فلم يُمنّ الناس بالأموال أو بالملك، أو بأيّ أمر من أمور الدنيا، بل أعلمهم منذ بداية الأمر بأنّ الشهادة هي مصيره ومصير من يتبعه، كيف لا؟! وهو القائل في خطبته عند الخروج من مكّة متوجّهاً لأرض العراق - علماً بأنّ تطوّر الأحداث حتّى ذلك الوقت كان لصالحه (عليه السلام) -: «خطّ الموت على وُلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أوْهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كآني بأوصالي يتقطّعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً، وأجربةً سغباً، لا

محيص عن يوم خُطَّ بالقلم» إلى أن قال: «مَن كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل، فإني راحل مُصبحاً إن شاء الله»^(١).

وكتب إلى بني هاشم لما أراد الخروج إلى الكوفة كتاباً جاء فيه: «أما بعد، فإنَّ مَن لحقَّ بي استشهد، ومَن لم يلحق بي لم يدرك الفتح»^(٢).

فالشهادة هي الهدف، والإمام لم يُخفِ ذلك عن أتباعه وجيشه، بل كانت الأمور واضحة لديهم، ويعلمون أيضاً أنَّ ثمن هذه الشهادة هو حفظ الإسلام. وهذا عكس ما تُلميه جميع العلوم العسكرية، وقيادة الأعمال القتالية في عصرنا الحاضر، أو في العصور المتقدمة.

ب - إخبارهم باستشهاد مسلم وهانى وابن يقطر

ومن مصاديق صراحة الإمام الحسين عليه السلام مع جيشه وأتباعه إخبارهم بما وصله من أخبار عن استشهاد مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبد الله بن يقطر. فقد روى عبد الله بن سليمان والمندر بن المشمعل الأسديان تفاصيل ذلك، قالوا: «لما قضينا حَجَّنا لم تكن لنا همَّة إلاَّ اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق؛ لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا ترقل^(٣) بنا نياقنا مسرعين حتَّى لحقنا بزود^(٤)، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة، قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام، فوقف الحسين عليه السلام كأنه يريد أن يتركه ومضى، ومضينا نحوه، فقال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا لنسأله؛ فإنَّ عنده خبر الكوفة. فمضينا حتَّى انتهينا إليه فقلنا: السلام عليك. فقال: وعليكم السلام. قلنا: ممن الرجل؟ قال: أسدي. قلت: ونحن أسديان، فمَن أنت؟ قال: أنا بكر

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤، ص ٣٦٧.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٧.

(٣) (أَرَقَلْتُ الدَّائِيَّةَ وَالنَّاقَةَ إِِرْقَالاً: أَسْرَعْتُ). ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٢٩٣.

(٤) موضع بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. أنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم

البلدان: ج ٣، ص ١٣٩.

بن فلان. وانتسبنا له، ثم قلنا له: أخبرنا عن الناس وراءك. قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، ورأيتهما يُجرَّان بأرجلهما في السوق. فأقبلنا حتى لحقنا الحسين صلوات الله عليه، فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً، فجئناه حين نزل فسلمنا عليه، فردَّ علينا السلام، فقلنا له: رحمك الله، إنَّ عندنا خبراً إن شئت حدَّثناك علانية، وإن شئت سراً. فنظر إلينا وإلى أصحابه ثم قال: ما دون هؤلاء ستر. فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلته عشية أمس؟ قال: نعم، وقد أردت مسأله. فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسأله، وهو امرؤ منا ذو رأي وصدق وعقل، وإنَّه حدَّثنا أنَّه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم وهاني، ورآهما يُجرَّان في السوق بأرجلهما. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحمة الله عليهما. يكرر ذلك مراراً... فسار حتى انتهى إلى زُبالة^(١) فأتاه خبر عبد الله بن يقطر، فأخرج إلى الناس كتاباً فقرأه عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنَّه قد أتانا خبر فظيع، قُتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه دمام. فتفرَّق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً، حتَّى لم يبقَ معه إلا أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة مع نفر يسير ممَّن انضوا إليه.

وإنما فعل الإمام ذلك لأنه عليه السلام علم أنَّ بعض الذين اتَّبَعوه إنَّما اتَّبَعوه وهم يظنون أنَّه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون ما يقدمون عليه^(٢).

فكان الإمام عليه السلام وفي كلِّ موقف مرَّ عليه صادقاً وصريحاً مع أتباعه، ولم تكن الحرب سبباً لأنَّ يحيد عن الصدق والصراحة ولو بمقدار ذرَّة، حتَّى لو أدَّى ذلك إلى تفرَّق الكثير ممَّن كان معه.

(١) زباله: (بضمَّ أوله: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة... سُمِّيَتْ زباله بزيلها الماء، أي: بضبطها له وأخذها منه). المصدر السابق: ص ١٢٩.

(٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٧٣ - ٧٦.

٣- اجتماعه بالمقاتلين وتخيرهم بين البقاء أو الرحيل

لم يتخذ الإمام عليه السلام لجمع المقاتلين والأنصار أسلوب حرمان الأتباع أو جعلهم في احتياج دائم، هذا الأسلوب الذي يتخذه بعض السياسين والقادة للتسلط على رقاب الناس، وتسييرهم بالاتجاه الذي يريدونه، وكذلك لم يعتمد على النهج الفرعوني في الاستخفاف بالناس لتحصل الإطاعة منهم، ولا على أسلوب التهيب والتهديد والعقوبة والالتهامات الكيدية والتلفيقات الجاهزة وحسب الحاجة والمقاس، بل ولا على أسلوب الترغيب بالأُمور الدنيوية من منصب أو مال.

فالإمام الحسين عليه السلام وهو إمام معصوم طاهر مطهر لم يتبع هذه الأساليب الرخيصة الدنيئة في الوصول إلى تلك الأهداف والقيم والمثل العليا في الإصلاح والإنقاذ والتغيير والقضاء على الفساد وحاشاه عن ذلك، في حين نجد أن الطاغية يزيد قد استخدم كل تلك الأساليب المشينة، ولا غرابة أن يصدر ذلك من شخص كيزيد.

وعندما نستعرض كيفية تجميع الإمام لأنصاره لا نجده استغل موقعه الديني المميز، فهو سبط النبي صلى الله عليه وآله وابن علي وفاطمة عليهما السلام، ومن نزل فيه ما نزل من آيات القرآن الكريم، وجاء فيه ما جاء من أحاديث جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، فمع ذلك كله لم يُجبر أحداً على اللحق به، بل كان يدعو إلى نصرته ضمن مفاهيم الدين وحجّة الحق ودليل القرآن والسنة، كقوله: «فَمَنْ قَبَلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ»^(١).

فالإمام وكما ذكرنا سابقاً كان صادقاً وصريحاً مع جيشه وأتباعه، وقد أخبرهم باستشهاده واستشهاد من معه، وكان بين فترة وأخرى يخبرهم أنه سيقتل وتُسبى حريمه، ولم يُخبرهم أنه سيتنصر عسكرياً.

(١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ٢١.

إنَّ الإمام لم يكتفِ بذلك فقط، بل أذن لهم بالانصراف، فهو على يقين بأنَّ الحرب واقعة لا مفرَّ منها، وهي حرب غير متكافئة من الناحية العسكرية، وسيكون مصيره ومصير مَنْ يبقى معه القتل لا محالة، فكانت أخلاقه العالية تدعوه لأن يرفع الكلفة عن الذين اتَّبعوه، وأن يعطيهم الفرصة لإعادة النظر في مواقفهم قبل أن يبدأ القتال، فلعلَّ منهم مَنْ اتَّبَعَ الإمام ظنًّا باستتباب أمر الكوفة لصالحه، ولمَّا تغيَّر الموقف استحيى من التراجع، فالإمام كان يخشى من استحياء بعضهم من تركه.

ولهذا جعلهم في حلٍّ من بيعته، وأذن لهم بتركه، والشواهد على ذلك كثيرة، منها: ما ورد عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال: «كنت مع أبي الليلة التي قُتل صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل فأتخذوه جملاً؛ فإنَّ القوم إنَّما يريدونني، ولو قتلوني لم يَلْتَفِتُوا إليكم، وأنتم في حلٍّ وسعة. فقالوا: لا والله، لا يكون هذا أبداً. قال: إنَّكم تُقتلون غداً كذلك، لا يُفَلَّتْ منكم رجل. قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك»^(١). وهكذا جعل الإمام أهل بيته وأصحابه على بينة من الأمر، ووضع الأمور في نصابها الصحيح، فأماط الحرج عن نفسه وعنهم، وأتاح لهم الفرصة لمراجعة موقفهم من الحرب، أو قُل: من الشهادة، فما كان منهم إلَّا الصمود والثبات من أجل إمامهم وإحياء أمر دينهم، حتى قال الإمام في حقهم: «فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً»^(٢).

ومن موقف الإمام هذا نعرف أيضاً مدى شجاعته عليه السلام؛ إذ إنَّه كان مستعداً للقتال حتَّى لو بقي وحيداً، لا ناصر له ولا معين، ولا عجب في ذلك؛ فإنَّه قد ورث شجاعة جدِّه وأبيه صلوات الله عليهم.

(١) الراوندي، الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٨٤٧.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩١.

٤- في خطباته وأفعاله مع جيشه وأتباعه

في كلّ نهضة هنالك قيادة وطليلة وقاعدة ترتبط بروابط مشتركة من أهداف وبرامج ومواقف، والقيادة دائماً هي القدوة التي تعكس أخلاقها على أتباعها، وفي النهضة الحسينية تجسّدت الأخلاق الفاضلة في العلاقات والروابط حيث الإخاء والمحبة والتعاون والود والاحترام بين القائد وأتباعه، وبين الأتباع أنفسهم.

عندما نطالع كلام الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبه وحواراته مع جيشه وأتباعه لا نجد إلاّ جميل القول وحسن التواضع، بخلاف ما يكون عادةً بين أيّ قائد وجيشه؛ إذ جرت عادة قادة الجيوش على إصدار الأوامر، وفي أحيان كثيرة على غلظة في القول والفعل، خصوصاً إذا كان القائد شخصية مرموقة ذات شأن عظيم، إلاّ أنّ أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) أثبت له أن يكون كسائر أولئك القادة، فهو قائد إلهي وإمام معصوم، أخلاقه أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهي نفس أخلاق القرآن الكريم.

والأمثلة على ذلك عديدة، منها: لما رمى عمر بن سعد بسهم نحو معسكر الإمام الحسين قائلاً: اشهدوا لي عند الأمير بأنّي أوّل رام رمى نحو معسكر الحسين (عليه السلام)، ثم توالى السهام على المعسكر، عند ذلك قال الإمام (عليه السلام) لأصحابه: «قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه؛ فإنّ هذه السهام رُسل القوم إليكم»^(١).

ولما اشتدّ الأمر بالإمام (عليه السلام) ومَن معه، ودنوا من الحياة الأبدية والسعادة الأخروية قال لهم الإمام (عليه السلام): «صبراً بني الكرام، فما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأَيْكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلاّ كَمَن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب. إنّ أبي حدّثني عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنّاتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كُذبت»^(٢).

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتل الطفوف: ص ٦٠.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص ٢٨٩.

ولما زحف ابن سعد بجيشه في عشية يوم التاسع من المحرم نحو معسكر الإمام، كان الحسين عليه السلام جالساً أمام خيمته، محتبياً بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته العقيلة زينب عليها السلام الصيحة، فدنّت من أخيها قائلة: «يا أخي، أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟ فرفع الإمام الحسين عليه السلام رأسه وقال: إنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ الساعة في المنام فقال لي: إنّك تروح إلينا. فلطمت وجهها ونادت بالويل، فقال لها: ليس لكِ الويل يا أُختي، اسكتي رحمك الله»^(١)، فالإمام لم يزجرها، ولم يتكلم معها بلهجة فيها شدة، بل تكلم معها بكل عطف وحنان.

وفي ذات الحادثة جاء أبو الفضل العباس عليه السلام إلى أخيه الحسين عليه السلام يخبره بقدوم ابن سعد وجيشه نحوه، فنهض الإمام وقال له: «يا عباس، اركب بنفسي أنت يا أخي، حتّى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟ وتسألهم عمّا جاء بهم»^(٢)، والشاهد في هذا الكلام قوله عليه السلام: «اركب بنفسي أنت»، إذ تحمل في طيّاتها أجمل معاني الأدب، وفيها من الحبّ والحنان الكثير، فبالإضافة إلى كونها كاشفة عن مدى المودة التي يحملها الإمام تجاه أخيه أبي الفضل، تكشف أيضاً عن روائع الأخلاق التي يتحلّى بها الإمام عليه السلام.

وعندما نطالع أفعال الإمام الحسين عليه السلام مع أنصاره وأتباعه نجد أنّ الأخلاق الحسينية قد تجسّدت بأروع معانيها، خصوصاً في اليوم العاشر من المحرم، بصور كثيرة، ومواقف عديدة، ليس من السهل إحصاؤها، ولكن نذكر على سبيل المثال ما يلي: كان أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي شيخاً كبيراً صحابياً، وكان ممّن رأى النبي ﷺ وسمع حديثه، وشهد معه بدرأ وحنيناً، لما حصلت المعركة جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام مستتدناً منه في القتال بين يديه، فبرز شاداً وسطه بالعمامة، رافعاً حاجبيه

(١) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣١٥.

بالعصاة، فلمّا نظر إليه الحسين عليه السلام بهذه الهيئة بكى وقال: «شكر الله لك يا شيخ»^(١). وكان الإمام عليه السلام يمشي إلى مَنْ كان يسقط من أصحابه على رمضاء كربلاء، ولم يُفرّق بين العبد والحر، ولا بين الهاشمي وغيره، فتارة يضع خده الشريف على خد هذا العبد الذي سقط في ساحة الميدان يتلفظ آخر أنفاسه، وأخرى على خد ذاك الحر، ووضع الخد يُعد من أعظم أنواع الاحترام عند العرب، وكان أيضاً يعتنق تارة هذا وأخرى ذاك، فأبت أخلاقه عليه السلام التفرقة بين الناس على أساس غير أساس التقوى والقرب من الله، وهذا هو المنهج الذي ورثه أهل البيت عليهم السلام من جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله. وكمثال لذلك نأخذ قصة (جون) الذي كان خادماً للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه)، ثم انتقل إلى خدمة الإمام الحسين عليه السلام، ورافقه إلى كربلاء، وعندما رأى أصحاب الإمام عليه السلام وهم يسقطون شهداء واحداً تلو الآخر، تقدّم هذا العبد إلى المولى الحسين عليه السلام بكلّ خشوع وتذلّل يستأذنه في قتال الفئة الباغية، إلّا أنّ الإمام عليه السلام قال له بكلّ حبّ وتقدير: «أنت في إذن منّي؛ فإنّنا تبعنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقنا، فقال: يا بن رسول الله، أنا في الرخاء أحسّ قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، والله، إنّ ريجي لنتن، وإنّ حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفّس عليّ بالحنّة فتطيب ريجي ويشرف حسبي وبَيّض وجهي، لا والله، لا أفارقكم حتّى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم. فأذن له الإمام، فقاتل حتّى استشهد»^(٢).

وبعد الشهادة ذهب إليه الإمام الحسين عليه السلام وقال: «اللهم بيّض وجهه، وطيب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرف بينه وبين محمد وآل محمد»^(٣). فكان كلّ مَنْ يمرّ بالمعركة يشمّ منه رائحة طيبة أذكى من المسك.

وموقف آخر مع عبد آخر وهو واضح التركي مولى الحرث المذحجي، لما صرّع

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين: ص ٢٥٣.

(٢) أنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتل الطفوف: ص ٦٤-٦٥.

(٣) البحراني، عبد الله، العوالم: ص ٢٦٦.

استغاث بالإمام الحسين عليه السلام، فأتاه أبو عبد الله واعتنقه، فقال: «مَنْ مثلي وابن رسول الله ﷺ واضع خده على خدي! ثم فاضت نفسه الطاهرة»^(١).

وهكذا الحال مع أسلم مولاه؛ إذ مشى إليه الإمام عليه السلام واعتنقه، وكان به رفق، فقبسّم وافتخر بذلك ومات^(٢).

إلى غير ذلك من الصور التي تبين الأخلاق الإسلامية العظيمة التي كان عليها سيد الشهداء عليه السلام، التي لا تفرق بين عبد رقيق وسيد جليل، ولا بين أبيض وأسود.

٥- مواساته عليه السلام لأصحابه

لقد شارك الإمام الحسين عليه السلام أنصاره وجيشه في السراء والضراء، وواساهم وأهليهم بنفسه وأهليه، عاش في وسطهم، يتعرض لما يتعرضون له، ولم يضع فاصلاً بينه وبينهم كما يفعل الكثير من القادة عادة مع جنودهم، بل كان فيهم كأحدهم، وهو القائل: «نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم فلكم في أسوة»^(٣). ولما كان صبيحة اليوم العاشر من محرم ثبت هو وأهل بيته في القلب، وكان أول مَنْ تقدّم من أهل بيته ولده وفلذة كبده علي الأكبر^(٤).

٦ - غيرته على النساء

لا تحتاج غيرة الإمام الحسين عليه السلام على النساء إلى كلام وتطويل، ولكن غاية ما يمكن قوله: إنّ كربلاء كانت حافلة بكل القيم الأخلاقية السامية، بل هي مدرسة متكاملة في الأخلاق الإسلامية بأروع صورها، ومن هذه القيم: غيرته عليه السلام على النساء،

(١) أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٤٩. الخوارزمي، الموفق بين أحمد، مقتل

الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٤.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

(٣) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٨٦.

(٤) أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٥٦.

وصيانتة للمرأة، فالإمام قد منع من التعرض إلى حُرْمه وحُرْم أتباعه والوصول إلى خيامهنّ ما دام حيّاً، ولهذا أضرم النّار في الخندق الكائن خلف المعسكر ممّا يلي خيام النساء، اللواتي لم يصطحبهنّ الإمام إلّا لإكمال مسيرة حركته الإصلاحية؛ لما لهنّ من دور في إبلاغ أهداف هذه الحركة والنهضة الإلهية المباركة.

فالإمام كان حريصاً أشدّ الحرص على خدر هذه الثلة المؤمنة من النساء، فأرجع أمّ وهب، وكان وهب رجلاً نصرانياً أسلم على يدي الحسين عليه السلام هو وأمّه، فاتبعوه إلى كربلاء، فقاتل بين يدي الإمام، ثم أُسر، فأُتي به إلى عمر بن سعد (لعنه الله) فأمر بضرب عنقه، فضربت عنقه، ورُمي به إلى عسكر الحسين عليه السلام، عند ذلك أخذت أمّه سيفاً وبرزت تريد القتال، فقال لها الإمام الحسين عليه السلام: «يا أمّ وهب، اجلسي؛ فقد وضع الله الجهاد عن النساء، إنّك وابنك مع جدّي محمد ﷺ في الجنة»^(١)، فغيرة الإمام وحميته على النساء أبت أن يسمح لهن بالقتال وبالبروز أمام الأعداء.

وهذا ما حصل أيضاً مع أم عمرو بن جنادة الأنصاري، فبعد أن قُتل زوجها جاء ولدها جنادة وهو ابن إحدى عشرة سنة يستأذن الحسين عليه السلام في القتال، فأبى الإمام وقال: «هذا غلام قُتل أبوه في الحملة الأولى، ولعلّ أمّه تكره ذلك. فقال الغلام: إنّ أمّي أمرتني. فأذن له، فما أسرع أن قُتل ورُمي برأسه إلى جهة الحسين عليه السلام، فأخذته أمّه ومسحت الدم عنه، وضربت به رجلاً قريباً منها، وعادت إلى المخيم فأخذت عموداً لتقاتل به وقيل: سيفاً، إلّا أنّ الإمام عليه السلام ردّها إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجُلين»^(٢).

وهذه الحادثة لا تكشف فقط عن الغيرة الحسينية، بل فيها دلالة واضحة على العاطفة والإحساس المرهف الذي امتاز به سيد الشهداء عليه السلام، وإن كان في ظرف الحرب والقتال، ففي ظروف القتال قد ينسى القادة العواطف والأحاسيس ويتعاملون بعقولهم لمعالجة الظروف العصيبة، ولكن الإمام عليه السلام وبرغم كل تلك الظروف راعى العواطف والأحاسيس في تعامله مع أتباعه، كما هو الحال مع أم عمرو

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٢٥.

(٢) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٥٣.

بن جنادة، فقد رفض السماح لولدها بالقتال بعد أن استشهد أبوه؛ مراعاة لعواطف تلك الأم، وسمح له بالقتال بعد أن أخبره بأن أمه هي التي أذنت له ودفعته للقتال. وقد بلغت غيرة الإمام الحسين عليه السلام أن ترك شرب الماء في وقت هو أحوج ما يكون إليه، وذلك في نهاية المعركة عندما مدَّ عليه يده فغرف من الماء فقال فارس: يا أبا عبد الله، تتلذذ بشرب الماء وقد هُتكت حرمتك؟! فنفض الماء من يده وحمل على القوم، فكشفهم فإذا الخيمة سالمة^(١).

إذن؛ فالغيرة والحمية والعفة، وجميع المفردات الأخلاقية كانت حاضرة عند الإمام عليه السلام، ولم يفته منها شيء، ولو تتبّعناها لطال بنا الحديث.

المحور الثالث: أخلاق الحسين عليه السلام حين الحرب في تعامله مع غير الإنسان

ونختصر الكلام هنا في نقطة واحدة، وهي:

رأفته بالحيوان

لم تنحصر الأخلاق الحسينية العالية بالبشر فقط، بل كانت شاملة حتى للحيوان، وهذا ما تنقله لنا كتب التاريخ والسير، وسنختار هنا مثالين لعطف الإمام عليه السلام ورأفته ورحمته التي شملت حتى الحيوان:

أ- قد تقدّم في طيّات هذا المقال كيف تعامل الإمام عليه السلام مع جيش الحرّ بن يزيد الرياحي في منطقة (شراف) - حين وصل ذلك الجيش وكاد العطش أن يفتك بهم وبخيولهم - فأمر الإمام الحسين عليه السلام فتيانه قائلاً: «اسقوا القوم وأرووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفاً. ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والبطاس من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُرِزَتْ عنه وسقوا آخر، حتى سقوها كلّها»^(٢). مع العلم أنّ ظروف المكان والزمان قد تبرر عدم سقاية تلك الخيول.

(١) أنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢١٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٧٨.

ب- روى أبو مخنف عن الجلودي: «أنَّ الحسين عليه السلام حمل على الأعور السلمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وكانا في أربعة آلاف رجل على الشريعة، وأقحم الفرس على الفرات، فلما أولغ الفرس برأسه ليشرب قال الإمام الحسين عليه السلام: أنت عطشان وأنا عطشان، والله، لا أذوق الماء حتى تشرب»^(١). فتلاحظ أنَّ الإمام عليه السلام لم يقدم نفسه المقدسة حتى على فرسه الذي يركبه.

نتيجة البحث

مما تقدّم معنا يتّضح لنا جلياً الجانب الأخلاقي في ما قام به الإمام الحسين عليه السلام من: نصيحة الأعداء وإلقاء الحجّة، وسقي جيش الحر بن يزيد بالماء، والوفاء بالعهود مع المؤالف والمخالف، وعدم البدء بالقتال، وأخلاقه العالية وسلوكه المنقطع النظير مع جيشه وأتباعه، إلى غير ذلك من مفردات الأخلاق الكريمة الأخرى من الإيثار والصبر والشجاعة وسعة الصدر، هذه الأمور وغيرها التي لم يفسح المجال لذكرها كانت ولا زالت تُمثّل دروساً في الأخلاق الإنسانية، وتشكّل خطأً واضحاً في حركة الحسين عليه السلام وفي أهدافه من النهضة.

بهذه الأخلاق استطاعت النهضة الحسينية أن تحقّق النصر الحقيقي بعد أن أيقن المسلمون أنها نهضة سليمة، جاءت لإصلاح الواقع وتغييره، بعد أن جسّدت هذا الإصلاح وهذا التغيير في سلوكها وأخلاقها في كل مفصل من مفاصلها. كما أنَّ الأخلاق الحسينية في الحرب تمثّل المدرسة الإلهية التي علّمت العالم بأسره كيف يجب أن يكون القائد العسكري الناجح في معارك الشرف والكرامة، وكيف يكون تعامل القائد الرسالي مع جنده وأتباعه؛ حتّى يفدّوه بأرواحهم ويدافعوا عنه بكل ما أوتوا من قوة، ويُسْتشهدوا جميعهم قبل أن تصل إلى قائدهم جراحة واحدة.

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢١٥.